

فِقهُ العُبُودِيَّةِ

مقرر دراسي



جَمَعَ مَادَتَهُ

د. عقيل بن سالم الشمري


بسم الله الرحمن الرحيم





اخلع ثوبك وألبس ثوب العبودية

الحمد لله، وصلى الله على رسول الله، وبعد:

فإن كنت طالباً فاخلع ثوب الطالب والبس ثوب العابد، والموظف عليه أن يلبس ثوب العابد، والدكتور في عيادته عابد، والمزارع عابد، وكل عابد له صلاة تخصه، فكل ما يصلك بالله فهو صلاة وصلة، ولهذا قال أبو الدرداء: «ما دمت تذكر الله فأنت في صلاة ولو كنت بالسوق»، فكل ما ذكَّرك بالله فهو صلاتك.

فالعبودية هي أن تكون حياتك كلها صلاةً تصلك بالله، ولها ركوع وسجود وتسبيح خاص، كما قال معاذ بن جبل رضي الله عنه: «تعلموا العلم؛ فإن تعليمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح» فجعل مذاكرته العلم هو تسبيحه. ولكل شيءٍ تسبيحه الخاص، فتسبيح الأكل والشرب الفرح بإكرام الله به، وطلب العون من الله ببركة اسمه في أوله، واستحضار إسناد النعمة لله المتفضل به، والثناء عليه وحمده في آخره.

ولطلب الرزق تسبيحٌ وركوعٌ وسجودٌ يجب تحقيقه في القلب، ومؤانسة الأهل لها تسبيحها أيضاً، وخدمة الوالدين وبرهما كذلك، وصلة الأرحام تسبيحها الوصل والاتصال وبذل السلام وتفقد حاجاتهم وغير ذلك.

وإذا كان للبدن سجود يرفع منه رأسه فإن للقلب سجوداً لا يرفع منه[1]، وسجوده هو خضوعه لله، وإنابته له، وإقباله عليه. فلكل شيء سجوده الخاص.

وفقه العبودية يجعل المؤمن ينتقل من عبادة لأخرى، ومن صلاة في مسجده إلى صلاة خاصة في بيته، وصلاة خاصة في وظيفته، وصلاة خاصة مع أهله، وهذا أحد الأقوال في تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ﴾ [الشرح: ٧]. فمتى ما فرغت من عبادة فانصب واتعب إلى عبادة أخرى، فإن راحة المؤمن في الجنة.

وهذا يستدعي إثارة الأسئلة التالية:

- ما الشيء الذي وَقَرَ في قلب أبي بكر الصديق رضي الله عنه فجعله أفضل الصحابة؟

- لماذا كان الركوع والسجود والتسبيح والصدقة من أبي بكر أفضل من غيره، مع أن غيره قد يكون أكثر منه عدداً؟

(١) مدارج السالكين ١/٤٢٨.



- كيف تنصبغ حياة المؤمن بالعبودية؟

- كيف يتعبد المؤمن خارج المسجد كما يتعبد في المسجد؟ وكيف تجعل حياتك كلها عبودية؟

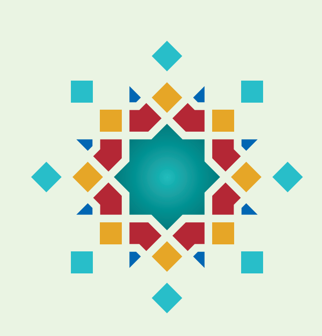
- كيف تصبغ حياتك بصبغة العبودية التي قال الله عنها: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ [البقرة: ١٣٨]؟

- وكيف يتذلل القلب؟!

- وما معنى التمرد على العبودية؟ وما صورها في الواقع المعاصر؟

تجدون أجوبة ذلك في هذه الورقات التي بعنوان (فقه العبودية)، يسر الله جمعه مقرراً دراسياً؛ ليكون صالحاً للدورات العلمية والمراكز الإسلامية وغيرها، ومأذونٌ لمن أراد ترجمته، وأشكر «**مؤسسة ثمرة الوقفية**» على طباعتهم ونشرهم هذا الكتاب.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد.







أصل العبودية وأساسها

الدرس الأول

العبودية صبغة الله

حينما تقرأ قوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ١٣٧ صِبْغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةًۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٧ ـ ١٣٨]

فهناك أسئلة تدبرية:

ما معنى الصبغة؟

وما سبب وصف الدين بها؟

وما دلالة هذا الوصف؟

وما هي آثاره؟

معنى الصبغة

الصبغة هي تلوين الأشياء كالثياب ونحوها بألوان معينة.

والمراد بها في الآية: الزموا ديـن الله الذي فطركم عليـه ظاهراً وباطناً.

سبب وصف الدين بالصبغة في الآية

أن الصبغة تلازم الثوب أو الجلد أو غيرها ملازمة لا تنفك عنه، وكذلك الدين يصبغ قلب العبد وجوارحه، ويلازمه في كل أحواله ولا ينفك عنه.



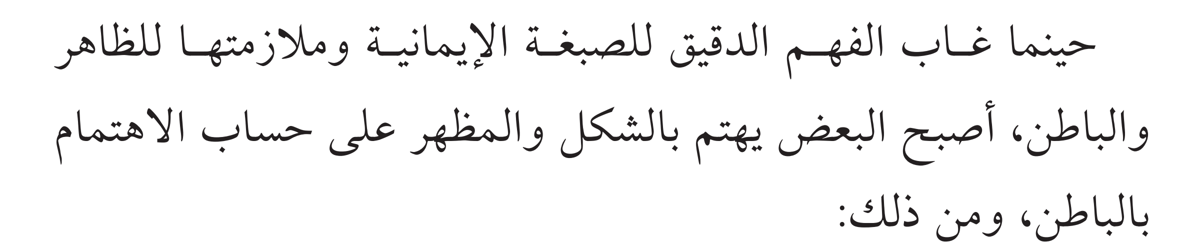


دلالات وصف الدين بالصبغة

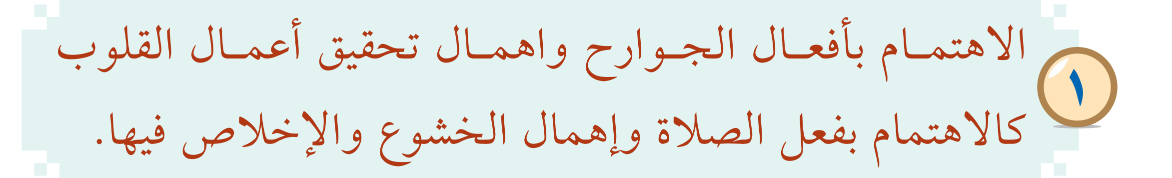
يدل وصف الدين بالصبغة على أن الإيمان ينبغي أن يصبغ ظاهر العبد وباطنه، فقلبه مصبوغٌ بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر، وظاهره مصبوغ بشرائع الإسلام، فاجتمع ظاهره وباطنه على ذات الصبغة.

أثر الخلل في فهم معنى الصبغة

حينما غاب الفهم الدقيق للصبغة الإيمانية وملازمتها للظاهر والباطن، أصبح البعض يهتم بالشكل والمظهر على حساب الاهتمام بالباطن، ومن ذلك:



١ الاهتمام بأفعال الجوارح واهمال تحقيق أعمال القلوب كالاهتمام بفعل الصلاة وإهمال الخشوع والإخلاص فيها.



٢ الاجتهاد في أداء أفعال الجوارح ولو كانت سنة وإهمال أعمال القلب الواجبة كالمحبة والخوف والرجاء والتوكل وغيرها.

٣ محاسبة النفس على أعمال الجوارح دون أعمال القلوب، مثل: أن يلوم نفسه على زلات لسانه ويترك أمراض قلبه كالحسد والغل والزيغ والران والكبر والنفاق وغيرها.





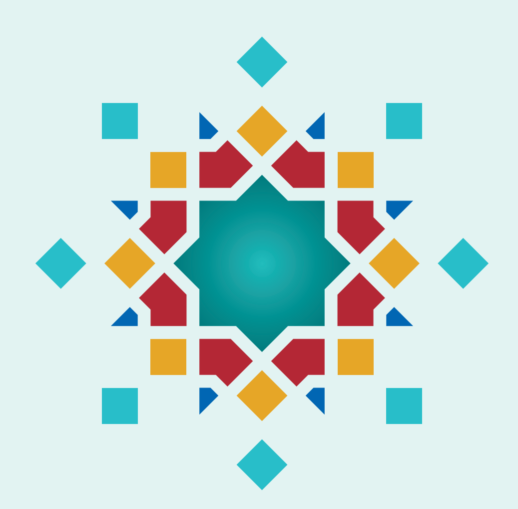


اكمل الفراغ التالي:

يدل وصف الدين (بالصبغة) في قوله تعالى: «صبغة الله» على أن:

- ....

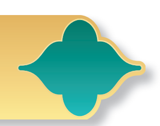
- ....



الدرس الثاني

العبودية صفة مدح

إذا أراد الله أن يمدح أحداً من خلقه وصفه بالعبودية كما قال عن سليمان وأيوب عليهما السلام: ﴿ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ ﴾ [ص: ٣٠]، وقال عن جملة من الأنبياء: ﴿ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ﴾ [الصافات: ٨١]، وقال عن نبيه محمد ﷺ: ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ ﴾ [الإسراء: ١].



العبودية ليست خاصة بالثقلين

خلق الله المخلوقات كلها للخضوع والتذلل له، والتسبيح بحمده، ومحبته، والانابة إليه، والافتقار إليه، فالله يُحِب أن يحمد، ويُحِب أن يُسأل، ويُحِب أن يُقنت له كما قال: ﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾ [الروم: ٢٦]. وقال عن الطير: ﴿ وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ كُلّٞ قَدۡ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥ ﴾ [النور: ٤١]. وقال عن سجود المخلوقات: ﴿ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [الرعد: ١٥].



العابد لله متوافقٌ مع الكون حوله

كل شيءٍ في الكون يعبد الله، ويُـمجده، ويُقدسه، ويُعظمه، ويُسبح له كما قـال: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسـراء: ٤٤]، وقـال: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحديـد: ١]، وقـال النبي ﷺ عن الدواب: «وما من دابة إلا وهي تفزع يوم الجمعة إشفاقاً من قيام الساعة»[١]. وقال ﷺ عن النمل: «أمة تسبح لله»[٢].

فـكل مخلوق فـي الكـون علويه وسـفليه يتعبـد لله ويخضـع له، فالمؤمن العابد متوافق مع الكون حوله، ومن أعرض عن عبودية الله فهو شاذٌ عن الكون العابد.

كيف تكون عبودية المخلوقات؟

المخلوقات خاضعة لله بفطرتها، فهي ترى نفسـها تحت مُلْك ربها، وتحـت تصرفه فيهـا، وفي قبضتـه، وتعتمـد عليه فـي تحصيـل رزقها، لا تنسب لنفسها حولاً ولا قوة، فحولها وقوتها يكون بربها، فهي متعلقة بـالله فاطرهـا وخالقهـا ورازقها، محققـةٌ ما يحبـه إلاهها مـن التذلل له والمحبة له، والتحميد والتقديس والتسـبيح باسـمه، مفوضـة له أمرها، متوكلة عليه في كل شؤونها، كما وصف لنا النبي ﷺ توكل الطير بقوله: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير»[٣].

---

(١) ابن خزيمة في صحيحه ٣/ ١١٤.

(٢) البخاري برقم (٣٠١٩).

(٣) الترمذي في سننه برقم (٢٣٤٤) وصححه الألباني.

الشرائع كلها تدعو لعبودية الله

الشرائع على اختلافها تتحد في دعوتها لعبودية الله كما قال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ [النحل: ٣٦]، وتعبر عن خضوعها لله عن طريق نهجٍ وشرعٍ معين شرعه الله لك أمة كما قال: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨] فجعل لكل أمة طريقةً يخضعون من خلالها لله، ويتذللون له بها، وهو ملكٌ يشرع ما يشاء كما يشاء لمن يشاء، فلا يمكن معرفة ما يحبه الله من التعبد والتذلل والخضوع إلا عن طريق انبيائه ورسله عليهم السلام .



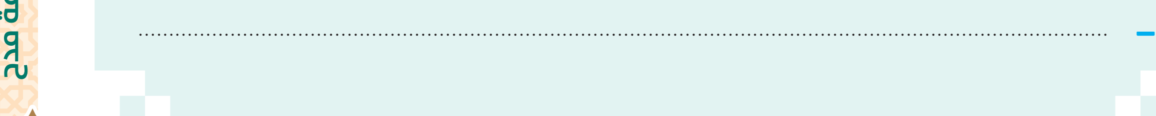
المخلوقات كلها تتعبد الله. عدد عبوديات المخلوقات التالية:

أ النمل.

ب الجبال.



هل كل الأديان على شريعة واحدة؟



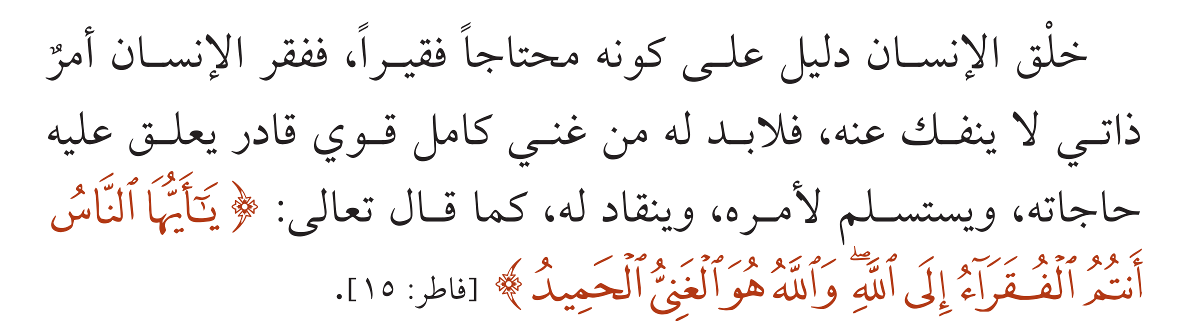




الانسجام بين صفات الإنسان وعبوديته لله

من تأمل صفات الإنسان يجد أن هناك تلازماً بينها وبين ما خُلق له من العبودية لله، فالله خلقه على هيئة تناسب قيامه بالعبودية، ومن ذلك:

١ كون الإنسان مخلوقاً:



خلْق الإنسان دليل على كونه محتاجاً فقيراً، ففقر الإنسان أمرٌ ذاتي لا ينفك عنه، فلابد له من غني كامل قوي قادر يعلق عليه حاجاته، ويستسلم لأمره، وينقاد له، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [فاطر: ١٥].

٢ أصل خلقته من تراب:

كما قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ﴾ [فاطر: ١١]، فمن كان أصل خلقه من تراب وسيعود للتراب أليس من اللائق به ذله وخضوعه لخالقه؟

٣ خلقه من ماء مهين:

خُلق الإنسان من ماء مهين كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾ [المرسلات: ٢٠]، وهذا يدل على قلة شأن مادته التي خُلق منها ووضاعتها، وهذا يُهيأ النفس البشرية لقبول العبودية لربها.



٤ صغر حجمه وهيئته:

الإنسان صغير الحجم والهيئة مقارنة بغيره من المخلوقات كما قال: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧]، ولو كان الإنسان بحجم الجبال سيعتمد على حوله وقوته، فالله خلق الإنسان على هيئة تؤهله للعبودية.

٥ جوانب الضعف:

في الإنسان جوانب متعددةٌ من الضعف، فالإنسان لا يطير، ومحدود السمع، ومحدود البصر، ومحدود العلم، فما يجهله أكثر مما يعلمه، ومحتاج للطعام والشراب والنوم، وإخراج الأذى، ويؤذيه الحر والبرد، ويحزن ويتألم ويخاف ويستوحش، وضعيف أمام رغبات النفس وشهواتها، وكثير الأماني، وغير ذلك من جوانب الضعف الكثيرة.

فمن تأمل هذه الصفات عرف

أن شعور الافتقار لله والخضوع له، والاعتماد عليه ضروري فطري يتوافق مع صفات الإنسان وخلقته كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا﴾ [يونس: ١٢].



ضع دائرة على الجواب الصحيح:

من صفات الإنسان التي تجعله مؤهلاً للعبودية:

أ) كونه مخلوقاً.

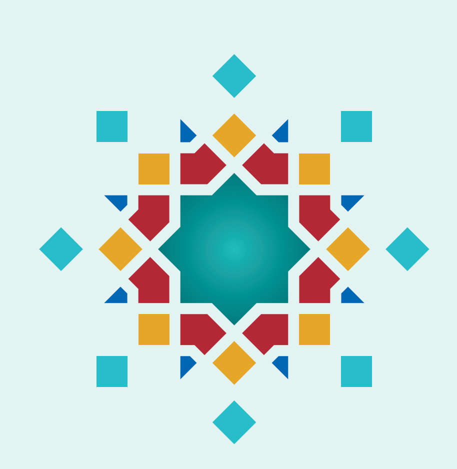
ب) صغر حجمه.

ج) تكبر الإنسان.

د) جوعه وعطشه وحاجته.

هـ) خَلْقُه من ماء مهين.

و) قوته وطغيانه.





الدرس الرابع

الابتلاءات تعيدك للعبودية

أكرم الله الإنسان بمنزلة العبودية، فهو مرتبط بربه، يدعوه ويسأله ويستعينه ويستهديه، وربه يسمعه ويحفظه ويعينه ويرزقه ويهديه، والشياطين تجتال العبد عن منزلة العبودية كما قال النبي ﷺ: «إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم[1] الشياطين»[2]، فإذا اختلت عبودية العبد فإن الله يرحمه بالابتلاء ليرجعه إلى منزلته اللائقة به، منزلة العبودية والتي هي شرفه، فيستخرج من عبده بالابتلاء ما يحبه الله من الضراعة والافتقار والخضوع لربه. كما يستخرج من عبده بالسراء ما يحبه الله أيضاً من الحمد والشكر وأداء حقوقها، وبذلها في طاعة الله. فكل الحياة والموت إنما هما لأجل استخراج أحسن الأعمال والتنافس في عبودية الله، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢].



صفات القلوب

لما كان القلب هو مدار العبودية كان حرياً أن يعرف العبد صفات القلب وأحوالها، وقد فصلها الله في كتابه وسنة نبيه ﷺ، ومنها:

(١) أي استخفوهم فجالوا معهم في الضلال. والاجتيال هو السَّوْق. النهاية في غريب الحديث ١/ ٣١٧.

(٢) رواه مسلم (٢٨٦٥).



١ التقلب:

كما قال النبي ﷺ: «**لقلب ابن آدم أشد انقلاباً من القدر إذا اجتمعت غلياً**»[(١)]. فتقلب القلب دليل فقره وضعفه، فلا تأمن تبدل حاله.

٢ الإرادة:

وهي قوة القلب التي من خلالها يتحرك فيُحب ويخاف، ويقبل ويدبر، فكل قلب مريد إما للخير أو الشر، كما قال النبي ﷺ: «**أصدق الأسماء حارث وهمام**»[(٢)]. قال ابن تيمية: «فَالْحَارِثُ الْكَاسِبُ الْفَاعِلُ وَالْهَمَّامُ فَعَّالٌ مِنْ الْهَمِّ وَالْهَمُّ أَوَّلُ الْإِرَادَةِ فَالْإِنْسَانُ لَهُ إرَادَةٌ دَائِمًا وَكُلُّ إرَادَةٍ فَلَا بُدَّ لَهَا مِنْ مُرَادٍ تَنْتَهِي إلَيْهِ فَلَا بُدَّ لِكُلِّ عَبْدٍ مِنْ مُرَادٍ مَحْبُوبٍ هُوَ مُنْتَهَى حُبِّهِ وَإِرَادَتِهِ فَمَنْ لَمْ يَكُنْ اللهُ مَعْبُودَهُ وَمُنْتَهَى حُبِّهِ وَإِرَادَتِهِ بَلْ اسْتَكْبَرَ عَنْ ذَلِكَ فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ مُرَادٌ مَحْبُوبٌ يَسْتَعْبِدُهُ غَيْرُ اللهِ»[(٣)].

٣ الحُبُّ:

في القلب حُبٌّ مطلق يحرك إرادته، فلا يفعل القلب شيئاً إلا لمحبته، وقد خلق الله القلب ليُستعمل في محبة ربه، فينقاد له، ويخضع، ويذلُّ، ويستجيب لأمره، ويترك نهيه، قال ابن تيمية: «فَقَدْ اسْتَبَانَ الْقَلْبُ إنَّمَا خُلِقَ لِذِكْرِ اللهِ سُبْحَانَهُ»[(٤)].

---

(١) رواه أحمد (٢٣٨٦٧) وصححه الألباني.
(٢) أخرجه أبو داود (٤٩٥٠) وصححه الألباني.
(٣) مجموع الفتاوى ١٠/١٦٩.
(٤) الفتاوى الكبرى ٥/٥١



أكمل الفراغات التالية:

١ العدو الذي يحاول صرف الإنسان عن عبودية ربه هو:

....

٢ إذا اختلت عبوديـة العبد فالله يرحمـه ويُرجعه إليه عن طريق:

....



من خلال معرفتك بقلبك.

ضع دائرة على الجواب الصحيح:

أ التقلب.

ب الإرادة.

ج العلو.

د العزيمة.



الدرس الخامس

لب العبودية وأساسها

لب العبودية وأساسها هو: رِقُّ القلب وذُلُّهُ، بأن يكون خاضعاً ذليلاً، فمتى كان القلب خاضعاً لشيءٍ فهو عبدٌ له، فالقلب عبدٌ لمن مَلَكَهُ، كما سمَّى النبي ﷺ من تعلق بالأشياء عبداً في قوله: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعِسَ عَبْدُ الْقَطِيفَةِ، تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيصَةِ»[1].

فمَن مَلك القلب فهو سيده، فانظر مالذي مَلَكَ قلبك فأنت عبدٌ له!



إذا كان القلب فقيراً لِمَن مَلَكَهُ؛ فالواجب على المؤمن ألا يفتقر إلا لله وحده في كل حياته ليكون عبداً له وحده.

ماذا بعد ذل القلب وخضوعه؟

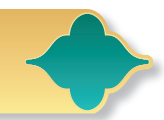
بعدما يَذِلُّ القلب ويخضع فإنه: ينقاد ثم يستسلم ثم يستجيب ثم يُقبل ويستعين ويتوكل، ويُحركه في كل ذلك المحبة التي تزاد مع اللحظات والأنفاس.

فانظر ما الذي جَرَّهُ خضوع القلب من أعمال؟!

(١) أخرجه البخاري (٢٨٨٦).

العبودية مشاعر القلب

للقلب مشاعر، فيشعر بالمحبة والخوف والرجاء والافتقار والذل والخضوع وغيرها من مشاعر القلب، وكلها يجب بذلها لله وحده، وهذه المشاعر تستلزم أفعال الجوارح.



الصدقة برهان على صحة مشاعر القلب

في الحديث الصحيح: «والصدقة برهان»، وبيانه:

حينما يقوم في قلوبنا مشاعر متنوعة تجاه الله، منها الحب والخوف والرجاء والافتقار والرضا وغيرها فإننا نبرهن عليها من خلال الصدقة، فالصدقة برهان على أن محبتنا لله أقوى من محبتنا للمال، وخوفنا من الله أشد من خوفنا من الفقر، ورجاؤنا لله أعلى من غيره، ولهذا نبذل الزكاة والصدقة خضوعاً لله، وانقياداً واستسلاماً لشرعه، ونوقن بأن الله الحق المتفضل بهذا المال يستحق أعلى من هذه التضحية. فقس على الصدقة غيرها من مظاهر العبادات.





١ عبادات الجوارح تعبير وتصديق عن مشاعر التعبد والذل والخضوع لله الموجود في القلب.

٢ العبادات الشرعية لابد أن تنتج خضوعَ القلب لربه ومولاه.

العبادات تختلف درجتها حسب خضوع القلب

كلما كان القلب أشد خضوعاً لربه، وذلاً له، وإنابةً، وإخباتاً، وتوكلاً واعتماداً، وخوفاً ورجاء؛ كان عمل الجوارح أرفع شأناً عند الله، وأعلى قبولاً، فالله ينظر لما في القلوب من الخضوع والذل له، ولهذا رب درهم سبق مائة ألف درهم، وفي حديث البغي[١] التي غفر لها بسقي الكلب نظراً لما قام في قلبها من الخضوع لله والذل له والانكسار لله.

(١) متفق عليه، البخاري برقم (٣٤٦٧) ومسلم برقم (٢٢٤٥).



حدثك زميلك عن تَقَلُّبٍ في الأفكار، ووجود بعض الوساوس في قلبه.ساعده في حل مشكلته

....

....

....

....



بعد أن عرفت شعور المؤمن أثناء صدقته. فماهو الشعور الذي يجب أن يرافقه أثناء صيامه؟

....

....

....

....



الدرس السادس

لا يُعبد الله إلا بشريعة النبي محمد ﷺ

من رحمة الله بنا أن شرع لنا ما نعبر به عن حبنا له، وذلنا وخضوعنا وانقيادنا واستسلامنا له، وخوفنا منه، فالله ملك الملوك لا يُدخل له ولا يوصل له إلا بالطريقة التي بيّنها عن طريق رسله عليهم السلام، وآخرهم محمد ﷺ، فكل مريدٍ للعبادة من غير طريقه عليه الصلاة والسلام فقد شرع طريقاً للدخول على الله غير الطريق التي حددها الله، وهذا مصادمٌ للعبودية، ومصداق ذلك في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران: ٣١].

من رغب عن سنتي فليس مني

لو بحثنا عن السبب الذي جعل ثلاثة شباب يقولون: أما أنا فأصوم ولا أفطر، وقال الآخر: وأما أنا فأصلي ولا أنام، وقال الثالث: وأما أنا فلا أتزوج النساء.

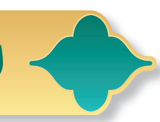
السبب هو أنهم فهموا أن العبودية تعني الأكثر والأشد، وهذا نوعٌ من القياس عقلي، فبين النبي ﷺ أن العبادة تكون باتباع سنته، ولا تكون باجتهادهم، إذ الله أرحم بالخلق من أنفسهم.



يكون في خدمة أهله

يـا تُرى كيف كان النبـي ﷺ يصنع حينما يكون في بيته؟! سـؤال حير الأَسوَد رَحِمَهُ ٱللَّهُ فسأل عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَـتْ: «كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِـهِ ـ تَعْنِى خِدْمَةَ أَهْلِـهِ ـ فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ»[١].

إن هذا الفعل من النبي ﷺ يدل على أن العبودية هي أن تفعل ما يريـده الله منك فـي اللحظـة التي أنـت فيها، فحيـن تكون مع أهلـك فالعبوديـة خدمتهـم، والقيـام علـى شـأنهم، وحيـن قدوم الضيف كان يترك أهله ويقوم بواجب ضيفه، وحين ينادي للصلاة قـام فصلى، هذا هو فضـاء العبودية الرحب الواسـع الذي يتوافق مع اسم الله الواسع.



الله هو المقصود والوسيلة هو الرسول عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

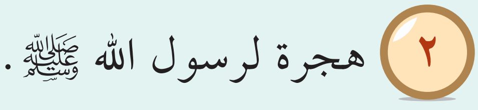
قـال ابـن تيميـة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فحـركات العبـاد لابد لهـا مـن غاية هي المقصود، ولا بد لها من وسـيلة إلى ذلك المقصـود، فالمقصود هو الله، والوسـيلة هو رسـول الله، فجماع الأمر في شـهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن محمداً عبده ورسوله»[٢].

(١) أخرجه البخاري (٦٧٦).
(٢) جامع المسائل لابن تيمية ٨/ ٢٧.



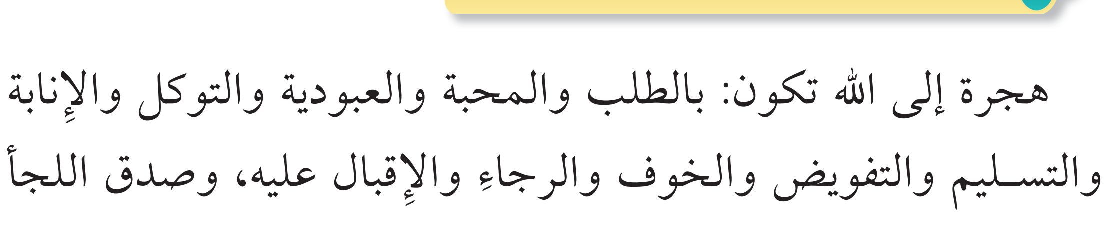
الهجرة نوعان:

١ هجرة لله.



٢ هجرة لرسول الله ﷺ.



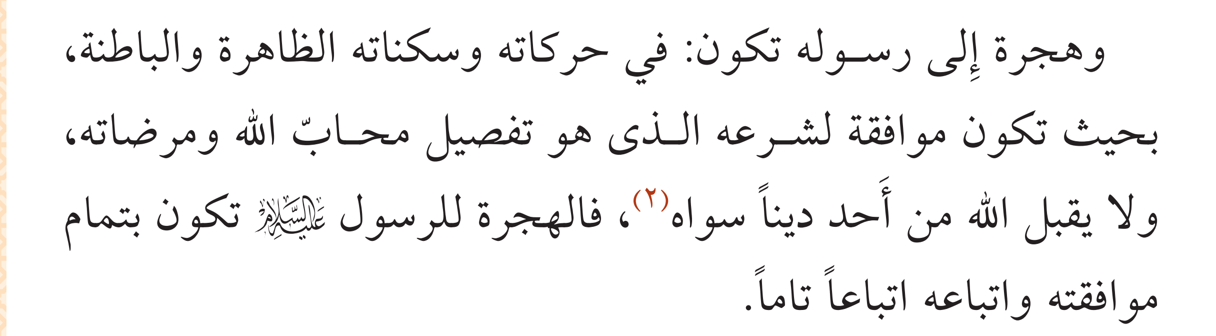


لم يأمر الله بطاعة شخص طاعة مطلقة إلا النبي محمد ﷺ.

الهجرة لله كيف تكون؟

هجرة إلى الله تكون: بالطلب والمحبة والعبودية والتوكل والإنابة والتسليم والتفويض والخوف والرجاءِ والإقبال عليه، وصدق اللجأ والافتقار في كل نَفَسٍ إليه[1]، فمن كان بهذا السلوك فهو المهاجر لله حقاً، وهذه الهجرة الحقيقية المحبوبة لله سبحانه.

الهجرة للرسول ﷺ كيف تكون؟



وهجرة إلى رسوله تكون: في حركاته وسكناته الظاهرة والباطنة، بحيث تكون موافقة لشرعه الذى هو تفصيل محابّ الله ومرضاته، ولا يقبل الله من أَحد ديناً سواه[2]، فالهجرة للرسول عليه السلام تكون بتمام موافقته واتباعه اتباعاً تاماً.

---

(١) طريق الهجرتين، ص٧.

(٢) المصدر السابق.



زميل لك يجتهد في عبادته جداً فيصلي في أوقات النهي، ويصوم العيدين. ما رأيك باجتهاده في العبادة؟ وبماذا تنصحه؟

....

....

....



استنتج العبودية المناسبة في المواقف التالية:

أ) عند قدوم الضيف.

ب) أثناء الجلوس مع والديك.

ج) إذا حضرت الصلاة.

د) حينما تكون مع أهلك وأولادك.

هـ) أيام العيدين.





الخضوع أخص صفات العبد

للعبد صفات عديدة وأخصها خضوعه لسيده، والسيد اللبيب هو الذي يبحث عن عبدٍ خاضعٍ؛ لأن خضوع العبد هو أساس بقية الصفات، فخدمته لسيده ومحبته وغيرته عليه ودفاعه عنه وقيامه بأوامره على قدر خضوعه لسيده، ولله المثل الأعلى.

الخضوع يكون لِمَن مَلَكَ قلبك

قال ابن تيمية: «كل من علق قلبه بالمخلوقات أن ينصروه أو يرزقوه أو أن يهدوه خضع قلبُه لهم، وصار فيه من العبودية لهم بقدر ذلك»(١). فعلى هذا كلُ من مَلَك قلبك فأنت عبدٌ خاضعٌ مستكينٌ له، فالعبرة في القلب وليس في الظاهر، فقد يكون الزوج خاضعاً لزوجته حينما تملك قلبه بينما هو في الظاهر سيدها، وكذلك الأمير الذي يعلق قلبه بمَن حوله أن ينصروه هو عبدٌ خاضعٌ لهم وإن كان في الظاهر أميرهم، فانظر من الذي مَلَكَ قلبك فهو سيدك وأنت عبدُهُ.

(١) الفتاوى الكبرى ٥/ ١٣٨.

كمال عبودية القلب في خضوعه لله

من استطاع أن يُخلِّص قلبه من كل شيءٍ، ويعلق قلبه بالله وحده، ويعتمد عليه في كل شؤونه وأموره، ويعطي محبة قلبه لله وحده فهو العابد حقاً، ولا يكون ذلك إلا بأن يفرغ القلب من الخضوع لغير الله، فهناك يستكين القلب ويذل لله وحده، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢].



١ الخضوع سكونٌ لمن ملك قلبك.

٢ خضوع القلب لله هو: شعوره وإحساسه بأنه في قبضة الله وملكه، وتحت سلطانه وتصرفه..



كيف تعرف أن أمراً ما مَلَك قلبك واستولى عليه؟



الدرس الثامن

دوام الخضوع لله

بناءً على ما سبق بيانه من معنى الخضوع فخضوع المؤمن لله شعورٌ لا يفارقه في كل أحواله، حين نومه ويقظته، وحين كلامه وسكوته، وحين قيامه وقعوده، وفي ضحكه وبكائه، وفي بيته ووظيفته، وغير ذلك.



ما الذي يجلبه الخضوع لله إذا استقر في القلب؟

١ التصديق:

فمن خضع لله صدقه في أقواله وأخباره وقصصه، وألوهيته، وربوبيته، وأسمائه وصفاته.

٢ التسليم:

مَن استشعر أنه تحت سلطان الله وفي ملكه وقبضته؛ استسلم لأمره ونهيه.

٣ الإذعان:

العابد مذعنٌ منقادٌ لشرع الله؛ لأنه خاضع القلب ذليله لله.



٤ العزم والالتزام:

مَن خضع لله عزم على طاعته فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه، وعقد العزم على الالتزام بدين الله وشرعه قدر استطاعته.

فانظر كم جرَّ الخضوع على القلب من أعمال هي عبوديته وزكاته، وبهذا ندرك عمق فهم السلف حينما جعلوا أساس العبودية هو خضوع القلب؛ لأن الخضوع يتبعه كل الأعمال القلبية والبدنية، وهذا كله هو حقيقة قول القلب وعمله عند أهل السنة والجماعة.

نشاط

اذكر ثمرات الخضوع لله إذا استقر في القلب.

....

....

....

....



الخضوع لله على قدر معرفة صفاته

لا يكون الخضوع إلا بعد معرفة عظمة الله، وتقديره حق قدره، ولا يكون ذلك إلا بمعرفة أسمائه وصفاته التي عرَّفنا بنفسه من خلالها، وتوحيد الأسماء والصفات هو أساس التوحيد، وهو المذكور في سورة الفاتحة ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٢ ـ ٤].



العبودية لله على قدر المعرفة بالأسماء والصفات.

أجمع الأسماء الحسنى

من أراد تحقيق العبودية فليتعرف **على معاني أسماء الله الحسنى، وصفاته العليا.**

فإن فاته ذلك فليتعرف على معاني أربعة أسماء: **الأول والآخر، والظاهر والباطن.**

فإن فاته ذلك فليتعرف على معاني: **الحي القيوم.**

فإن فاته ذلك **فليعرف حديث سيد الاستغفار.**



هل كل خضوع في القلب يكون عبودية لله؟

قد يخضع الإنسان وينقاد لِمَن يقهره ولو كان كارهاً له، فكان لابد أن يجتمع في عبودية الله أمران: كمال الخضوع مع كمال المحبة.

فإذا خضع القلب لله وأحبه، وزاد حبُهُ لله حتى استولى على ذرات القلب، ولم يترك في القلب مكاناً لغير محبة الله أصبحت العبودية صبغة له، وعاش جنة الدنيا، وأنس بالله، فكانت حياته ومماته لله رب العالمين، كما قال النبي ﷺ في الحديث القدسي: «فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، فَبِي يَسْمَعُ، وَبِي يُبْصِرُ، وَبِي يَبْطِشُ، وَبِي يَمْشِي، وَلَئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ»[(١)].



لا عبودية إلا بالذل والمحبة لله.

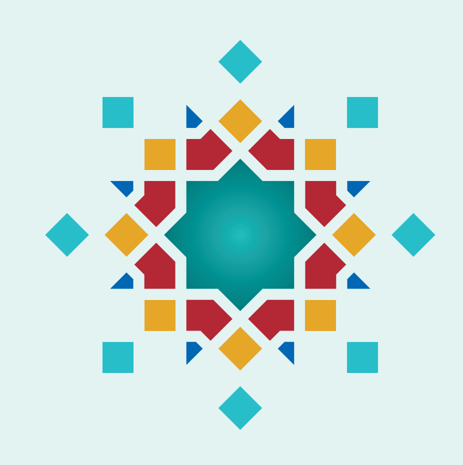
(١) أخرجه البخاري (٦١٣٧)





«ليس كل خضوع في القلب يكون عبودية لله».

وضِّح هذه العبارة على ضوء فهمك للعبودية.







التمرد على العبودية

ماذا بقي من خطايانا؟

يتساءل البعض عن كون الوضوء يكفر الخطايا، والصلوات الخمس كفارة لما بينهن، والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهما، ورمضان إلى رمضان يكفر ما بينهما نت الذنوب، والعمرة إلى العمرة تكفر أيضاً، والحج يكفر ما قبله، وعاشوراء يكفر سنة قبله، وعرفة تكفر سنتين، فماذا بقي من خطايانا؟

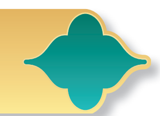
هذا السؤال ناتجٌ عن سوء فهم العبودية والتعبد والخضوع لله؛ لأن العبد إذا سأل الله مغفرة الخطايا وتكفير الذنوب فلا يتصور في ذهنه إلا كبائر الذنوب كالشرك والقتل والسرقة وشرب الخمر وغيرها، وهو مجتنبٌ لها، وبالتالي يكون شعوره بارداً حين سؤال المغفرة.

ومثله أيضاً: من يؤدي العبادات المفروضات كالصلوات وغيرها ويظن أنه بمجرد أدائها قد قضى ما عليه من الواجب، ولم يعلم أن الأداء الناقص الممتلئ سهواً وغفلة هو ذنب وخطيئة، ولا يليق بأن تُعرض عبادته بهذا الأداء الناقص على الله سبحانه.



جهل العباد وظلمهم لأنفسهم

قال الله في الحديث القدسي: «**يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً؛ فاستغفروني أغفر لكم**»(١).



اللهم إني ظلمت نفسي

حينما سأل أبو بكر النبي ﷺ أن يختار له دعاءً يناسبه قال له: «**قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ـ وفي رواية: ظلماً كبيراً ـ ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرةً من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم**»(٢).

وهذا من أعجب الأحاديث إذ يتبادر للذهن ما هو هذا الظلم الكبير الكثير الذي يعترف به أبو بكر رضي الله عنه، ويسأل ربه أن يغفره له، ونحن نعلم منزلة أبي بكر رضي الله عنه في الإسلام؟!

إن هذا الظلم لا يمكن أن تعترف به إلا إذا عرفت عظمة الله، وما يستحقه من عبادة الظاهر والباطن، وعبادة تستغرق الوقت كله، فحق الله أن يذكر فلا يُنسى، ويطاع فلا يُعصى، ويُشكر فلا ينسى، فكل تقصير في ذلك هو ظلمٌ للنفس، إن كل لحظةٍ من الوقت تمضي دون أن تتعبد فيها لله، أو تمضي وأنت غافلٌ فهذا ظلم للنفس، فلا يسعك إلا أن تقول: «اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً».

---

(١) رواه مسلم (٢٥٧٧).

(٢) رواه مسلم (٢٧٠٥).



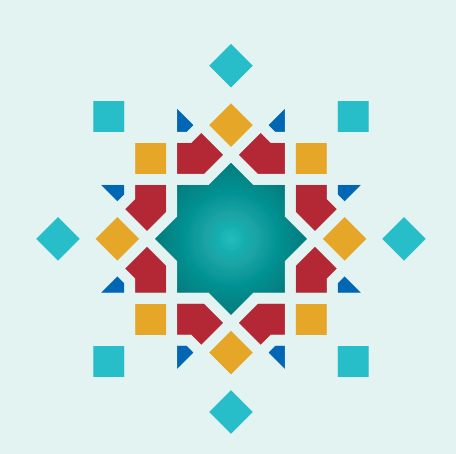
ما الظلم الكثير الذي اعترف به أبو بكر رضي الله عنه واستغفر منه؟

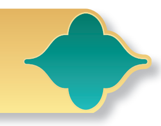
....

....

....

....





الدرس الثاني

التمرد على العبودية بالفعل

أشـد الذنوب عند الله أن تتمرد على منزلتـك اللائقة بك وهي العبودية وتتعدى إلى مقام الله جـلَّ جلاله، وعلى هذا فافهم قول النبي ﷺ : «**العز إزاره، والكبرياء رداؤه، فمـن ينازعني عذبته**»[1].

واشتداد غضب الله على المتكبر لأنه تـمَرَّدَ على منزلة العبد وأراد منازعة الله في مقامه، فالله هو المتكبر المتعال، والكبر ممدوحٌ في حقه، مذموم في حق العبد.

التمرد على العبودية بالقول

«قـال رجلٌ: والله لا يغفـر الله لفلان، فأحبط الله عملـه»[2] فلماذا أحبط الله عمله، ولم يحبط عمل غيره من بعض أصحاب الكبائر؟!

لأن قائل هذه الجملـة ـ والله لا يغفر الله لفـلان ـ متمرد على منزلة العبوديـة، إذ العبد لا يتعدى على أحكام سـيده، ولا يعطي نفسه منزلة السيد الذي يعفو ويعاقب، ولهذا اشتد غضب الله عليه فأحبط عمله.

(١) رواه مسلم (٢٦٢٠).

(٢) رواه مسلم (٢٦٢٠) واللفظ مختصر.





راقب قولك وفعلك لا تتمرد على منزلتك اللائقة بك وهي: العبودية.

سِرُّ فرح الله بتوبة عبده

الله يفرح بتوبة عبده؛ لأن العبد رجع للمنزلة التي خُلق لها، واللائقة به، منزلة العبد الذليل الخاضع لربه وحده، النادم على تفريطه، العازم على عدم العود للتمرد، وعن هذا الشعور تتولد كل أعمال الطاعات.

قاعدة سلوكية

من عرف نفسه عرف ربه:

فمن عرف نفسه بالضعف عرف ربه بالقوة، ومن عرفها بالعجز عرف ربه بالقدرة، ومن عرفها بالذل، عرف ربه بالعز، ومن عرفها بالجهل، عرف ربه بالعلم، فإن الله سبحانه استأثر بالكمال المطلق، والحمد والثناء، والمجد والغنى، والعبد فقير ناقص محتاج، وكلما ازدادت معرفة العبد بنقصه وعيبه وفقره وذله وضعفه ازدادت معرفته لربه بأوصاف كماله»[١].

(١) مدارج السالكين ١/ ٤٢٧.

تضخيم النفس خللٌ في للعبودية

قال الله: ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ﴾ [النجم: ٣٢]، وقال النبي ﷺ: «إذا رأيتم المدَّاحين فاحثوا في وجوههم التراب»(١)، وقال: «ونعوذ بالله من شرور أنفسنا»(٢) كل ذلك لئلا تتضخم النفس فتتمرد على مقام عبوديتها، وتعتمد على حولها وقوتها، وترى أن لها شأناً ومقاماً، فتعظم حسناتها في عين صاحبها، وتصغر سيئاتها، وتُعجب بذاتها، وهذا خروج عن مسمى العبد وصفاته، وتعريضٌ لمقت الله وسخطه.

فقر وافتقار

«يا عبادي كلكم ضالٌ إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عارٍ إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم»(٣).

(١) رواه مسلم (٣٠٠٢).
(٢) رواه أبو داوود (٢١١٨)، والترمذي (١١٠٥) وقال: حديث صحيح.
(٣) رواه مسلم (٢٥٧٧).





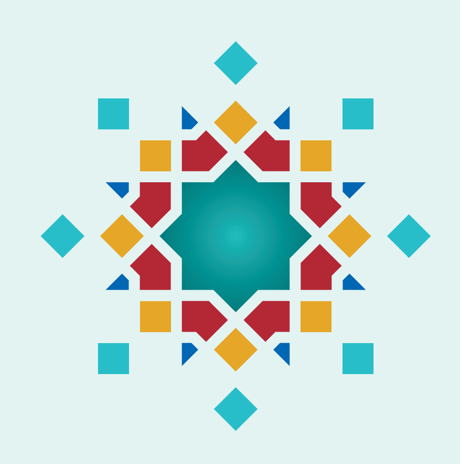
اذكر صور التمرد على العبودية؟

....

....

....

....



الدرس الثالث

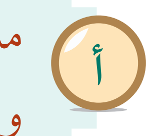
فقه الأسباب الشرعية

لا يُعبد الله إلا بالأسباب التي شرعها سبحانه، والشيطان يجتهد في الإفراط فيها أو التفريط ليزل العبد عن مقام العبودية، فكما أنه لا يُصلى لله إلا بالهيئة التي شرعها، فكذلك لا يبتغى رزقه إلا بالتوكل الذي شرعه وأوجبه، ولا يحصل الخوف والمحبة والرجاء إلا بما بيّنه وشرعه، والزهد لا يكون زهداً شرعياً إلا حينما يكون وفق الشرع، وما من شيء إلا وللشيطان فيه إفراط أو تفريط، ومقام العبودية أن يفقه العبد عن سيده أسبابه التي اختارها ورضيها لعبيده.



العبودية في فعل الأسباب

من فعل سبباً من الأسباب التي تجلب رزقاً أو علماً أو كسباً أو عملاً قلبياً فليتعبد لله من خلال:



مشاهدة قلبه لـمنَّة الله عليه في إقداره على هذا السبب، وتمكينه منه.



أن يفعل السبب امتثالاً لأمر الله الذي أمر بذلك، وجعل من سنته ربط الأمور بأسبابها.



ج أن يجتهد في تحقيق ما يقدر عليه من السبب مما مكنه الله منه، وهذا من شكر الله على توفير الأسباب، كما أثنى الله على ذي القرنين بقوله: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٩] فلم يهمل فعل الأسباب بل اتبعها واجتهد في تحصيلها وتحقيقها.





١ الإفراط:

بأن يعتمد على الأسباب، ويضخمها، ويركن إليها، ويفعل السبب المشروع والممنوع في سبيل الوصول لمبتغاه، وهذا طمعٌ واستشراف.

٢ التفريط:

بأن يهمل فعل الأسباب، أو ألا يجتهد في تحصيلها، وهذا عجز أو كسل.



مثال ابن القيم في الأسباب

ضرب ابن القيم مثـالاً يبين كيفية تعامل الناس مع الأسـباب، فقـال: «فَهِيَ كَالطَّرِيقِ الْحِسِّـيِّ الَّذِي يَقْطَعُهُ الْمُسَـافِرُ إِلَى مَقْصِدِهِ، فَإِنْ قِيلَ لَهُ:

أ - ارْفُـضِ الطَّرِيـقَ، وَلَا تَلْتَفِتْ إِلَيْهَـا: انْقَطَعَ عَنِ الْمَسِـيرِ بِالْكُلِّيَّةِ.



ب - وَإِنْ جَعَلَهَـا غَايَتَـهُ، وَلَـمْ يَقْصِدْ بِالسَّـيْرِ فِيهَـا وُصُولَهُ إِلَى مَقْصِدٍ مُعَيَّنٍ: كَانَ مُعْرِضًا عَنِ الْغَايَةِ، مُشْتَغِلًا بِالطَّرِيقِ.

ج - وَإِنْ قِيلَ لَهُ: الْتَفِـتْ إِلَى طَرِيقِكِ وَمَنَازِلِ سِـيرِكَ، وَرَاعِهَا، وَسِـرْ فِيهَا نَاظِرًا إِلَى الْمَقْصُودِ، عَامِلًا عَلَى الْوُصُولِ إِلَيْهِ، فَهَذَا هُوَ الْحَقُّ».

تــوازن:

فهم العبودية يجعلك توازن بين أمرين:





١ - أمرُ الله بفعل الأسباب وتكميلها.

٢ - أن يبقى القلب متعلقاً معتمداً على ربه قبلها وبعدها.



نشاط

الإفراط والتفريط من صور الخلل في الأسباب.

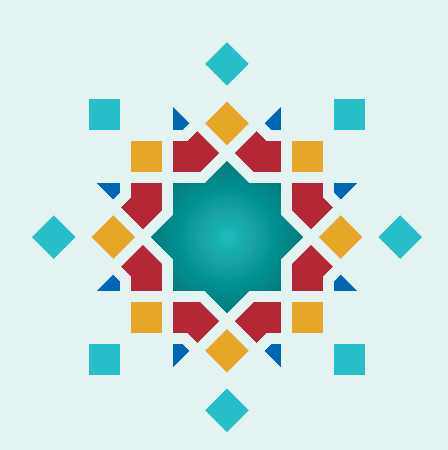
مثِّل لكل واحدة من خلال حياتنا اليومية.

....

....

....

....



الدرس الرابع

لله وبالله

مدار العبودية على هاتين الكلمتين:

١ **لله:** فهو الغاية والمقصود من كل أفعالنا، إذ هو المستحق للبذل والتعبد والذل والخضوع، وهذا أحد معاني اسم الله (الآخر) فكل أحدٍ غيره منقطع، ولا يتصل العمل إلا حينما يكون لله سبحانه.

٢ **بالله:** فهو المستعان والمعتمد، ومنه الحول والقوة، فإن أكلنا فباسم الله نأكل، وباسمه نُعان، وإن ركبنا فباسم الله نركب وما كنا له مقرنين، وحين ننام فباسم الله وضعنا جنوبنا، بقوته لا بقوتنا، وبعزته لا بفقرنا، فأكمل أنت أفعال يومك بهذا الشعور، شعور الخضوع والتعبد.

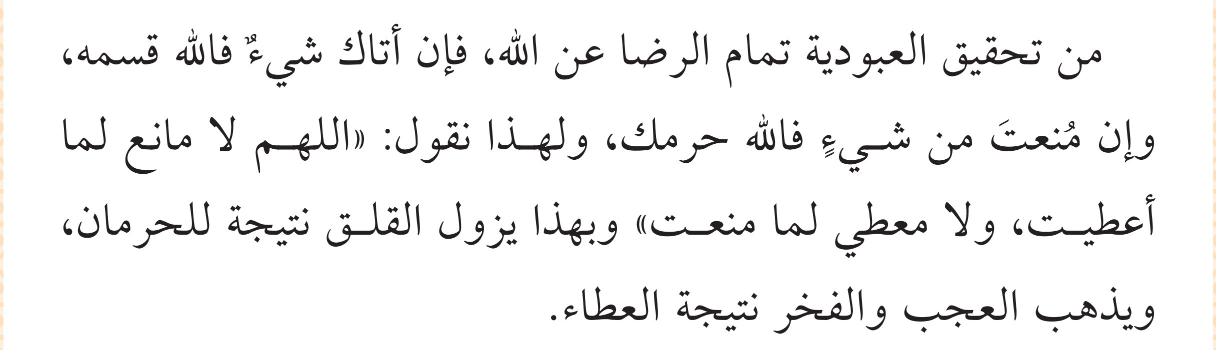
وأنه هو أضحك وأبكى

الآية تعزز عبوديتنا لله، وتزيدنا فقهاً لها، فالعبد تحت سلطان الله وقبضته حتى في ضحكه وبكائه، فلا يضحك إلا بإعانة ربه له، فالله خلق فيه الرغبة في الضحك، ورعى عصبه وخلاياه لذلك، وهيأه ليضحك، وأمده بالقوة على ذلك، وسخر له أعضاءه لتطيع، فما أفقرنا وما أضعفنا، وما أجل ربنا وأكرمه وأقدره.





إن العبد الذي يستشعر خضوعه السابق في دقائق حياته ـ الضحك والبكا ـ لن يغفل عن ربه في ما هو أعظم من ذلك مما يداهم العبد في يومه وليلته.



الله المعطي المانع

من تحقيق العبودية تمام الرضا عن الله، فإن أتاك شيءٌ فالله قسمه، وإن مُنعتَ من شيءٍ فالله حرمك، ولهذا نقول: «اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت» وبهذا يزول القلق نتيجة للحرمان، ويذهب العجب والفخر نتيجة العطاء.



العوائق التي تعيق القلب عن الله هي كالأصنام التي تصُد عن الله، فأزل أصنامك.





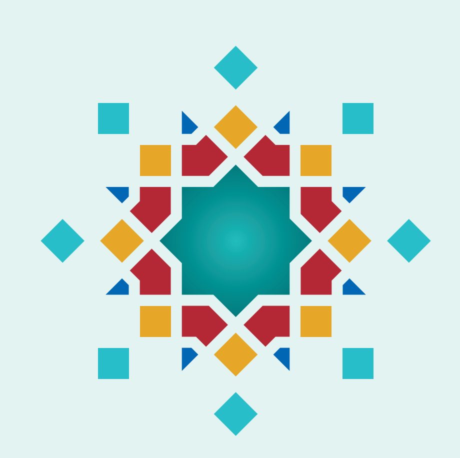
ما معنى قولنا: نحن بالله ولله؟

....

....

....

....



الدرس الخامس

حينما ينقلب الحب عذاباً

منح الله العباد نعمة المحبة في قلوبهـم، وبها تنتظم حياتهم، كما جعل المحبة سنةً لملكوته، فمن صرف نعمة الحب لغير ما خُلقت له كان جزاؤه أن ينقلب الحب عذاباً وألماً، كحال العشاق وأهل التعلق، وهذا الألم القلبي هو واعظ الله في القلب الذي يريد أن يُصرف هذا الحب لطريقه الصحيح «ألا يُحب المرء لا يحبه إلا في الله».

المُحب والمحبوب يعبدان بعضهما

كل من أحب شـيئاً فقد صـرف تعلق قلبـه والتفاتـه لمحبوبه، فهو عابدٌ له من هذه الجهة، والمحبوب الذي رضي أن تنصرف له القلوب وتتذلل لـه هو أيضاً عابدٌ لمحبـه من تلك الجهة، إذ هو بهذا الشـعور يشبع فقراً في قلبه، والقلوب كلها لله، وانصرافها لغير الله فتنة.

في القلوب ثغرات

فـي الزمـن الـذي ضعـف فيـه فقـه التعبـد، وانهالـت الماديـات والظواهر، وجد في القلوب ثغرات ومنافذ من خلالها يدخل الشيطان فيعبث في القلوب، فكما أن عدم فقه العبودية مرض، فنقص العبودية مرض آخر، والعلاج يكون بتصحيح العلم والإرادة.



المتقين ومساس الشيطان

قال الله عن المتقين العابدين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١] ومن دلائل الآية فيما يتعلق بالعبودية:

أ) أن المتقين تقع منهم الذنوب التي كتبها الله على عباده.

ب) الشيطان لا يستقر في قلوب المتقين وإنما يصيبها مساساً.

ج) ما أسرع تذكر المتقي ورجوعه لربه بالتوبة والإنابة والاستغفار؟

د) يزداد المتقي بصيرة وإيماناً بعد توبته وإنابته (فإذا هم مبصرون).

هـ) لا يزال الشيطان يطوف بالعبد حتى يصيب منه، ولهذا قال (طائف).



العبد يذنب لكنه لا يصر، ويعترف لسيده ويتوب.



خضوع مع حب

لا يكون التعبـد لله إلا باجتماع الخضوع مع الحـب لله وحده، فقد يخضع القلب نتيجة لظرفٍ قاهر، وكل مخلوق ففيه نوع خضوع بحكم أنه مخلوق لله، إلا أن هذا ليس هو المقصود حتى يكون خضوعاً كاملاً مع حب كامل لله وحده، والله يستحق أن يخضع له وأن يُحب.



كلما ازداد القلب حباً لله ازداد له خضوعاً، وكلما خضع القلب لله أحبه.

نشـاط

متى يكون الحُب عذاباً يتعذب به صاحبه؟

....

....

....





الدرس السادس

كيف تزداد المحبة لله؟

هذا سؤال شريف القدر، ويكون ازدياده بثلاثة أمور:

أ تكميل المحبة في القلب لله وحده:

بـأن تتخلل ذرات قلبـه وجوارحـه، لقولـه: «**أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما**».

ب تفريغها مما يخالفها:

ففي أثناء سـير العبـد لربه ينبت فـي القلب حشـائش تعلق فعليه أن يسعى لاقتلاعها وتجريد قلبه مما يزاحم محبة الله، لقوله: «**وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله**».

ج منعها مما يضادها:

فهناك مبغوضات ومكروهات لله لابـد من منعها، لقوله: «**وأن يكـره أن يعـود في الكفـر كما يكـره أن يقـذف في النار**».



الله هو الأحب وليس المحبوب

المطلوب من العبد أن يكون الله هو الأحب وليس المحبوب فقط، ولا يكون الله هو الأحب إلا بألا يشاركه في الحب شيء أبداً، وكل شيء إنما يحب تبعاً لمحبة الله، وهذا منزلة العبودية أن يُحِب العبد كل ما يحبه سيده، وأن يكون سيده هو الأحب عنده مطلقاً، والله عند كثير من المؤمنين محبوب لكن الشأن والتحدي أن يكون هو الأحب.

العبودية تورث الجدية

من خضع لله وأحبه، وألتمس وجهه ورضاه، وسابق غيره في تذلله، لا يمكن أن يكون إلا ذا علم وإرادة، وعزم وعمل، كلما فرغ من عبادة نصب لعبادة أخرى، ويسخر كل ما أمكنه الله ليتقرب به لله، ومن هنا كان الصحابة رضي الله عنهم أكثر الناس عملاً مع أنهم يمشون على الأرض هوناً، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما، وهذه النتائج العملية للاستعانة بالله وصدق طلب رضاه.



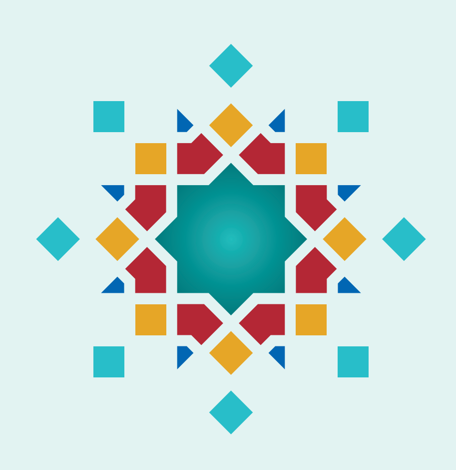
ما هي الأمور التي تزيد محبة العبد؟

....

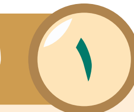
....

....

....



قواعد لفهم العبودية



١ افتقر بقلبك لله:

بأن يجرد العبد قلبه من أهواء النفس وحظوظها، ثم يقبل بكليته على مرضاة ربه.

٢ كن حاضر القلب مع الله:

ففي تفاصيل الحياة استشعر أنك في قبضة الله وملكه، وتحت سمعه وبصره، وأن تتعامل معه تعامل العبد الذي انقطع لخدمة سيده ومحبته على ما يريده منه سيده وولي نعمته.

٣ أزل علائق القلب:

فتش في علائق قلبك، فقد تكون علائقك: حب الرئاسة، أو طلب الجاه والمنصب، أو الفخر والاستكبار، أوالعلو في الأرض والتسلط والشهرة، أو حب الثناء والمدح ولو بالباطل، أو الركض وراء المال من أي طريق، أو الافتتان بشهوة الفرج أو غيرها من العلائق، كل هذه العلائق استعن بالله على إزالتها، واستبدالها بالتعلق بالله ودينه وما يحبه، والغيرة له.





٤ تبرء من حولك وقوتك:

فالعبد قوته من قوة سـيده، والله هو السيد الذي بيده الحول والتحـول والقوة والانتقـال، وبهذا يتخلص العبـد من رؤية نفسه والإعجاب بها، ويخاف أن يكله الله لنفسه فيخذل.



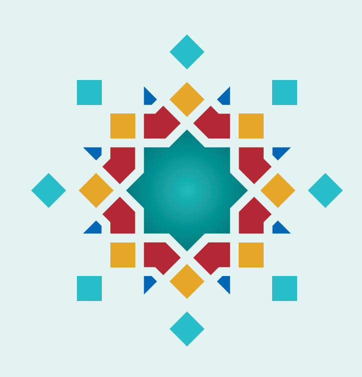
مثِّل للقواعد الأربع التي تُعين على فهم العبودية.

....

....

....

....

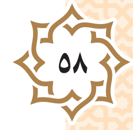




فقه العبودية في آية الكرسي

قال تعالى: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

ولهذا شرعت قراءتها بعد كل صلاة، وشرعت عند النوم، لما فيها من تقرير معاني العبودية والافتقار لله، وتعريف الله نفسه لعباده بحياته الكاملة، وقيوميته على كل شيء، فما من شيءٍ إلا وقيامه يكون بالله، وعليه اعتماده، ولله ما في السموات وما في الأرض، فما من ذرة إلا وهو يملكها ويتصرف فيها ويصرفها كما يشاء، ولا يكون نفعٌ إلا بإذنه، فلا تنفع الأسباب إلا بمشيئته، وبيَّن الله أحد مخلوقاته وهو الكرسي الذي وسع السموات والأرض، والكرسي عند العرش كحلقة في فلاة، فمن قرأها بقلبه أورثته الذل لله، ومحبته، وإفراده بالتوكل والاعتماد، فلا يخاف ولا يرجو إلا الله.





الأذكار تجديد عهد العبودية

أذكار طرفي النهار هي تجديد لعقد العبودية بين العبد وبين سيده، فما من ذِكرٍ إلا وهو يُذَكِّر العبد بعبوديته وفقره ومنزلته اللائقة به، ويربطه بسيده وولي نعمته سبحانه، بالإضافة إلى أنه يجرد العبد من شوائب العبودية ومكدراتها ومنغصاتها، ويغلق الأبواب أمام العبد إلا باب تعلقه بربه فيبقيه مفتوحاً، اقرأ الآن: «باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع والعليم»، أقرأها بتدبر ثم تأمل «لا يضر مع اسمه شيء»، ثم تأمل «شيء»، فاسمه سبحانه هو العافية التي لا تغادر سقما، ومتى خلت الأشياء عن اسمه فالسم المركز، كرر الدعاء ثم انظر بعد ذلك كم سيخرج من قلبك أمراض كانت تحول بينك وبين خضوعك لله وحده، ولعل هذا أحد حِكم تكرار الأذكار ثلاثاً ليستجلب العبد علمه وإراداته في فقه المعنى العظيم.

خاتمة: العبد مع السيد

ما يساعد على فقه العبودية أن تبقى مستحضراً مثال العبد مع السيد، فأنت هو العبد، والسيد الله، وقد ضربه الله لنا في كتابه فقال: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدًا مَّمۡلُوكًا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٍ وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ مِنَّا رِزۡقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنۡهُ سِرًّا وَجَهۡرًاۖ هَلۡ يَسۡتَوُۥنَۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيۡنِ أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأۡتِ بِخَيۡرٍ هَلۡ يَسۡتَوِي هُوَ وَمَن يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٍ ﴾ [النحل: ٧٥ ـ ٧٦].

فـإن أردت معرفـة الولاء والبـراء: فَقِسْـهُ على العبد والسـيد، فالعبـد الذي يوالـي أعداء سـيده وولي نعمتـه ومحبوبه كيف تكون منزلته عند سيده؟!

ولتدرك فضيلة الذكر: فَقِسْهُ على العبد والسيد، فالعبد الذي يلهـج بفضائل سـيده، ويمدحـه، وينسـب الأمـور كلها له، ولا يعجبه إلا كلام سيده وأفعاله، كيف تكون محبته لسيده؟ وكيف تكون محبة سيده له؟

ولتعرف عظيـم الجرم: فَقِسْـهُ علـى العبد والسـيد، فالعبد الـذي يرفض أحـكام سـيده الكاملـة، ويسـتبدلها بأحكـام أعدائـه كيـف يكـون سـخط السـيد عليـه؟! وكـم يكـون استحقاقه للعقاب؟!

وليس القصد التشبيه من كل وجه إنما ضرب المثال للتقريب، ولله المثل الأعلى، وليس كمثله شيء.





ما مواضع قراءة آية الكرسي؟

....

....

....

....

